



عبدالغني عبدالهادي*

شاعر الرّبابة عبدّه موسى رائدًا ومبدعًا

◀◀ الفنان عبدّه موسى صاحب بصمةٍ في العزفِ والغناء الأردنيّ خصوصًا، والعربيّ عمومًا. سطر اسمه في قائمة العبقريّة المعاصرة في فنّ المُوسيقى؛ وذلك بفضل صبره وجلده وما لاقاه من قبولٍ عند الأوساط الشعبيّة والرسميّة، الأمر الذي جعله يستحق لقب "شاعر الرّبابة العربيّة".

يصفه زميل دربه ورفيقه توفيق النمري قائلاً: "إنّ موهبة عبدّه موسى موهبة مميّزة، فعرفه على الرّبابة متقن جدًّا وخاصة إجادته للمقامات الموسيقيّة على الرّبابة، واشتهر بعزف الألحان البدويّة كالشروقي والحداء على الرّبابة وكان محطّ إعجابنا جميعًا".

مراحله الفنيّة الثلاث

المرحلة الأولى (مرحلة العمل في الإذاعة):
كان عبدّه موسى سفير الأغنية في الريف والبادية

لم يكن أحد يدري أو يتنبأ بمولد موهبة فدّة كموهبة هذا الفنان الرائد المبدع! فمنذ طراوة أظفاره، أخذ يتابع عازف الرّبابة، فكان يرافق ويتابع ويلاحظ أنامل العازفين على هذه الآلة السحريّة، ليبادر في التدرّب عليها، حتى استطاع أن يلفت أسماع مَنْ حوله، ويلمس رضاهم وتشجيعهم له.

التحق شيخ الرّبابة بالإذاعة الأردنيّة منذ العام 1958، وكانت في مدينة رام الله آنذاك، فكان عبدّه موسى مفاجأة للجميع عبّر الضفتين؛

* كاتب أردني

zahran1979@yahoo.com



والتطوير في فنّه، فغنىّ الثنائيات التراثية والشعبية المميزة بمصاحبة مطربات أردنيات وعريّيات، حيث غنىّ (يا طير ياللي طائر) مع هيام يونس اللبنانية، و(سافر يا حبيبي) و(جدلي يام الجدائل) و(لا اطلع ع راس الجبل)، وغنىّ كذلك مع المطربات الأردنيات: سلوى العاص، وغادة محمود، وسهام شماس، وسهام الصفدي.

المرحلة الثالثة: وقد توجّها بالتحاقه بفرقة

الأردنية، وبشهادة ابنه فتحي أنّ والده مرّ بمراحل فنية ثلاث؛ التحاقه بالإذاعة ومشاركته بأنجح برامجها الإذاعية آنذاك؛ برنامج "مضافة الحاج أبو محمود"، حيث كان يثري هذا البرنامج جمهور المستمعين بألوان الغناء التراثي الأردني بمرافقة الربّابة، وحيث لم تكن محطات التلفزيون قد بدأت في المنطقة.

المرحلة الثانية: تبعت من توفقه للتجديد

الفنون الشعبية الأردنية عام 1967، وكانت أولى حفلاته مع الفرقة في العاصمة لندن على مسرح (ألبرت هول)، وهناك التقى بالمطرب عبدالحليم حافظ الذي أدلى بشهادة فيه يقول فيها: "إنَّ عبده موسى موهبته فنية فريدة في العزف على الربابة وفي الغناء الشعبي". ودخل عبده موسى باب الفن بعد هذه المناسبة من بابه الواسع، حيث صار يشارك فرقة الفنون الشعبية الأردنية حفلاتها في الأمصار العربية والأجنبية مُحققاً أرفع الجوائز الفنية تقديراً واعترافاً بوزنه الفني الرفيع. وشهد له كذلك مواطناه وزميلاه المبدعين الفنان روجي شاهين والفنان إميل حداد، فشهد له روجي شاهين بالموهبة الفطرية الإلهية المحركة للأحاسيس، عندما يُعزِّي، وأنه تفوق على كثير من عازفي الكمان في الإذاعة، ومقدرته كذلك في الأداء الموسيقي الذي يصل إلى أكثر من (20) نغمة موسيقية، ناهيك عن خلقه الطيب المتواضع. أما الفنان إميل حداد، فقال إنه "كان يحمل مَلَمَحِينَ أساسيين هُما مَلَمَحُ الرَّيفِ وَمَلَمَحُ البادية دُونَما تُكَلِّفُ أو تُصنَعُ".

امتاز أداء عبده موسى بالعفوية والسلاسة والكلمة المعبرة عن رهافته وإحساسه بواقع المرحلة التي مرت بالامة العربية، حتى ترجل عن جواده الأصيل؛ ربأبته التي أودعها إحساسه العالي. وقد تجلّت أهم الخصائص الفنية للفنان عبده موسى في الإيقاع والتلحين والشعرية والأداء؛ أما الإيقاع فقد استخدم عبده موسى مجموعة من الضروب الإيقاعية العربية الجميلة والبسيطة المتناسبة مع غنائه التراثي الشعبي البسيط مما

أثرى أغانيه بحسه المفعم بالعفوية، وسهّل وصولها لشرائح المستمعين، كذلك امتاز غناؤه بالتحرر من الأوزان لكثير من القصائد والأغاني الشعبية وبخصائصه البدوية مما أكسبها السلاسة والوصول إلى قلوب المستمعين، كما وازنَ ومازجَ بين الحرّ والموزون من أغانيه (كبياع الورد) و(مرين وما معهن حدا)..

تعددت ألحان عبده موسى مُعتمدة المقامات الموسيقية العربية الأساسية الأصلية المتمركزة حول المقامات: البياتي- السبكي- الرّاست- النهاوند. كما استطاع بناء معظم أغانيه بصيغ بنائية شعبية التّسق، رابطاً لحن الأغنية الواحدة بجملة موسيقية (موتيفة) يلتزم بها.

وقد نوع بلحن جملتين موسيقتين وعدد أقل من الألحان. وتجلّى مجيراً لنفسه الخروج والتطوير من باب التجديد مُعتمداً الألحان الشعبية البدوية على قالب الشروقي الحرّ، ومُعظم الألحان المنسوبة له كانت تراثية أردنية معظمها من الألحان البدوية، فكان يستخدم اللحن الحرّ ثم الموزون بادئاً بموالٍ حرّ على لحن الشروقي. كما تعددت موضوعاته مُوزعة بين الوطني فالغزلي فالديني فالزراعي فالتربوي بحسب إحصائها.. مما أثرى مُستمعيه ومحبيه وزاد من رصيده عند المواطنين بمختلف شرائحهم.

شاعرُ الربابة العربية

من اللياقة والإنصاف أن نطلق جملة ألقاب على شيخ الربابة وأستاذ العود عبده موسى، فنقول إنه سفيرُ الربابة وشاعرها وصانع معجزتها في

جنوب بلاد الشام الأردنّ وفلسطين على الأقلّ. على الرّغم من تواضع علمه، إذ لم يلتحق بالدراسات المتقدّمة، واكتفى بالتواصّل مع جمهور "السّميعة" وشرائحهم الذين استطاع انتزاع احترامهم له، فعرف قيمته ووزنه الفنّي عندهم، وازداد ثقةً في نفسه، ثقةً جعلته صاحب بصمةٍ في العزف والغناء الأردنيّ خصوصاً، والعربيّ عمومًا.

أصبح اسمًا يضاف إلى قائمة العبقريّة المعاصرة في فنّ الموسيقى؛ وذلك بفضل صبره وجلده وما لاقاه من قبولٍ عند جمهوره العريض وعند الأوساط الرسميّة والشعبية كافة، إضافة إلى صفاء سريرته وسلامة إحساسه وتواضعه، مجمل هذه المؤهّلات تكفّلت ووفّرت له لقب "شاعر الرّيابة العربيّة" وسفيرها الصّاعد.

الرّيابة العربيّة

تنازعت الرّيابة النظريات والروايات من حيث النشأة والأصول ابتداءً من الشرق إلى الغرب، من الهند إلى بلاد الرّافدين، إلى الفرس وصقلية فالأندلس فأوروبا في القرن الحادي عشر الميلاديّ. ومن الجدير بالذكر أنّ العرب يملكون 298 سلّمًا موسيقيًا، بينما الغرب لديه سلّمان اثنان فقط! كما صرّح بذلك شيخ العود العراقي سلمان شكر.

عبده موسى وشهادات العاشقين

تكاد كل أغنيةٍ من أغاني عبده موسى تشكل بصمةً أو رسالةً مفتوحةً من رسائل الحُبّ تلمح

المتدوقين بوجدها وبوجها عبر الهواء؛ لما فيها من هجر وشوق وحنين.. وما زال هذا الأثر ماثلاً على الرّغم من التطوّر الذي لحق الموسيقى على صعيد الأدوات والكلمات والألحان، من مثل (الراب) وغيرها ممّا لم تستوعبه الذائقة العربيّة بعد!

لقد عزف عبده موسى فأبدع، وغنّى فأطرب؛ فأحبّه الجميع وبقيت أغانيه وأنغامه الساحرة أيقونةً على كلّ باب. وقد ارتأينا أن نورد مجموعة من شهادات التقدير والإعجاب نسوقها باختصار، لما تشكّله من قيمةٍ إنسانيّةٍ صادقةٍ بحقّ رمزٍ فنّيٍّ بارزٍ عاش نصف قرن مشعًا بالنّبل والتواضع، قيلت في حفلٍ خاصٍّ أقامته له الفرقة الملكية الأردنيّة للفنون الشعبيّة في عمّان عام 1977، وقد صاغ تلك الشهادات نفرٌ طيب وفيّ عرفَ لفناننا حقّه عليه وعلى أمته فمن بين هذه الشهادات:

شهادة الشاعر حيدر محمود بعنوان "حرفيّة الحقيقة" ومنها:

"لعلها الوحيدة التي بكت عليه، هذه الرّيابة العتيقة
لعلها الوحيدة، الصديقة! كانت رغيّة، وسيفه/
وخيمة انتظاره الطويل/ ومات في سبيلها.. فهو
شهيد اثنين: حبه وجوعه النبيل/ يا جوع.. أنت
قاطع الطريق/ أنت قاتل الأنامل الرّشيقة!"

شهادة الشاعر سليمان المشيني:

"لقد فقدنا بارتحال عبده (أبو صبحي) فنانًا أصيلاً

تميّز بصوتٍ نادرٍ وأنايملٍ مرهفة، لا يمكن أن نسلو ما أغنى به الفنان الراحل مكتبتنا الموسيقية من أغنيات ذاعت شهرتها ولفتت النظر إلى الفن الأردني وأصالته، يضاف إلى هذا ما للفقيه الغالي من خدمات مشكورة أثناء عمله في الإذاعة“.

شهادة الأستاذ مروان جرار (مدير الفرقة الملكية للفنون الشعبية):

”أريد أن أقول شيئاً واحداً سريعاً، إنه -على الرغم من كل عطاء فنانا وعذابه- يموت فلا يحس أحد بموته، من الذين كانوا يتمايلون مع أنفاسه العبقريّة وهو في بقعة الضوء، ويموت من بعده فلذات كبده، جوعاً وهمّاً وضياًعاً، ولعلها تكون صرخة للإنصاف أقدمها أمام الجميع، ورحم الله عبده موسى شهيد فته“.

شهادة الباحث في الموروث الشعبي الأستاذ نمر سرحان:

”لقد قضى الفنان الإنسان حياته في سبيل رفع صوت الفن الشعبي الذي كان قبله منزوياً في المضافة والخيمة وتحت أشعة قمر ليلة يطل على صحراء خاوية“.

أعمال الفنان عبده موسى

قدّم الفنان عبده موسى خلال مسيرته الفنيّة أغنية موزعة على خمسة موضوعاتٍ مهمّةٍ متنوّعةٍ، استحسناها الجميع معنى ولحناً مشكّلةً رصيّداً من الحب لدى الجانبين فناً وجمهوراً. ركزت موضوعات أغانيه على (الوطني فالغزلي فالديني فالزراعي فالتربوي)، بحيث شكّلت

منهاج حياة وروعة، فكانت بذورَ أملٍ وعطاءٍ وتحّد للمائل من الحياة، غناها منفرداً ومشاركاً لأصوات عذبة ارتقت به كما ارتقى بها من مواطنيه الأردنيين والعرب.

ومن أبرز أغانيه:

- اللون الوطني: الثار، الخيل تلعب، سلم عليهم، أبطال الحمى، بالله قوموا يا عرب، أردن يا ديرتي، رسالة الجندي.

- اللون الغزلي: سافر يا حبيبي، البارحة يوم طيفك جاي، مرّين وما معهن حداء، بي ولا بيك، زُدّي شاليشك، بياع الورد، جيت ألعب مع البيض، لاطلع ع راس الجبل، هي يا أم السّامة، يا زينة يا أم الخال.

- اللون الديني: أول ما نبتدي ونقول، جعفر الطيار، جل جلالك، الزكاة، شهر الخير يا رمضان. - اللون التربوي: غزلان العين، حط القهوة على النار.

- اللون الزراعي: محلا الخضرة والأشجار، أيدي وإيدك يا خيّي ■

المصادر والمراجع:

1. عبده موسى رائداً ومبدعاً، د.محمد غوانمة، دار الكندي، إربد، 2001، ص282.
2. عود على العود- الموسيقى العربية وموقع العود فيها. تأليف: د.نبيل اللو، عالم المعرفة، (442)، تشرين الثاني/ نوفمبر 2016.
3. صحيفة (الشرق) القطرية، 2009.
4. الجزيرة الوثائقية: حلقة خاصة عن العود.